الترابط النصي وأدواته-قصيدة (أمتي) لعمر أبو ريشة أنموذجاً

Textual Cohesion and its Tools- a Case Study of the poem *ummati* of 'Umar Abū Rīshah

رغد محمد ديب الجاجي *

Abstract

There have been an enormous evolution in the literature and linguistic studies particularly in the textual studies. The latter occupied a great importance amid the modern linguistic researches. My aim for this research lay in presenting a brief vision for the readers familiarizing them with the "text grammar" by discussing its origins and the reasons behind its emergences as well as its objectives. The research has also tackled the criteria and tools of this science used by the researcher to achieve the desired outcome. These tools were used and applied on the poem of the poet "'Umar Abū Rīshah" which conveyed the great range the script had possessed for script coherence and showed what was available and was not and concluded with an ending that entailed the result of this research.

Keywords: Linguistic, Textuality, Text grammar, Text coherence, 'Umar Abū Rīshah, The poem my nation

لقد شهدت الدراسات اللغوية والأدبية في الفترة الأخيرة تطوراً ملحوظاً في مجال الدراسات النصية التي تحتل مركزا مهماً بين الأبحاث اللغوية المعاصرة، وهذا راجع بالضرورة إلى أهمية تلك الدراسات في خدمة البحث اللغوي، وذلك بالخروج من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص، وبالخروج من دلالة الجملة إلى دلالة النص، وهذا لا يعني أن اللسانيات النصية ألغت ما توصلت إليه الدراسات اللسانية السابقة على مستوى الجملة، بل جعلتها منطلقاً لها. يقول الدكتور أحمد عفيفي: "لن نذهب _بأي مفهوم_ إلى احتراق نحو الجملة بعد نضج، أو موت بعد حياة، ولهذا نرفض أن نشيع جثمان النحاة التقليديين ... لأن نحو الجملة لم يفقد قيمته، وليس لنحو النص أن يقوم بإلغائه، فما زال نحو الجملة يقوم بدوره من خلال الحفاظ على المعنى الجملي الذي هو أساس المعنى النصي، ولهذا فلكل منهما حدود معينة، وليس لأحدهما أن يقوم بإلغاء الآخر، فهما فرعان لعلم واحد، والحاجة إليهما معاً ضرورية"[1].

لقد تم توسيع دائرة البحث اللغوي ليشمل النص كاملاً، وذلك بالانتقال إلى دراسة العلاقات العميقة التي تربط بين الجمل ومتواليات الجمل. كما لا يمكن حصر أهمية الدراسات النصية في هذا المقام فحسب، فقد قدمت الدراسات النظرية والتطبيقية للسانيات النص دراسات تمثلت في تفسير ظواهر لغوية لم تفسر في إطار دراسات الجملة، كدراسة التماسك النحوي للنصوص، والتراكيب المحورية والتراكيب المجتزأة، وأبنية التطابق والتقابل، وغيرها من الظواهر النحوية والمعجمية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة[2].

* باحثة في مرحلة الدكتوراه في كلية اللغة العربية/ الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد.

أسباب اختيار الموضوع:

إن هذه النقلة النوعية في أسلوب دراسة النصوص وفي النظرة إليها شكلت فرقاً واضحاً لدى الباحثين، وذلك من حيث دقة النتائج التي يتوصلون إليها، ومن حيث اتساع الرؤيا النقدية وشمول الدلالة في البحث، وعدم الاقتصار على نحو الجملة المحصور في مجال ضيق. كل هذا ونحوه كان سبباً دفعني لاختيار هذا الموضوع، وقد رأيت ضم الدراسة التطبيقية إليه رغبة في إيصال فكرة إلى القارئ مفادها أن هذه المناهج قابلة للتطبيق، وليست مجرد نظريات جامدة، ومن المعروف أن النظريات تتضح وتُقبَل أكثر من خلال رؤية تطبيقاتها. وقد اخترت قصيدة (أمتي للشاعر "عمر أبو ريشة" لما رأيت فيها من تماسك وانسجام وتلاحم بين أجزائها، فبدت لي لُحمة واحدة، ومن ثم رغبت في الكشف عن تماسكها بطريقة منهجية نصية تظهر ترابط أجزائها، وتكشف عن أسرار تماسكها.

الدراسات السابقة:

تناولت كثير من الدراسات الحديثة قضية الترابط النصي وهذه بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

1. الترابط النصي في رواية "النداء الخالد" لنجيب الكيلاني. دراسة تطبيقية في ضوء لسانيات النص. إعداد: عيدة مسبل العمري (رسالة ماجستير) جامعة الملك سعود 1430هـ. سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن وسائل الترابط في رواية النداء الخالد لنجيب الكيلاني، وذلك على المستويين الرصفي والمفهومي، ويضم المستوى الأول علاقتين هما: الربط النحوي والربط المعجمي. أما الربط المفهومي فيضم تحته مجموعة من العلاقات أهمها البنية الكبرى، وتليها علاقات الارتباط السببي والتخصيص والانسجام والبيان والتفصيل والإجمال والتقابل العكسي والتقابل الكمي.
2. التماسك النصي في الخطاب الإلهي للكافرين في القرآن الكريم. إعداد: رولا محمد صالح العالم (رسالة ماجستير) الجامعة الأردنية 2014م. تسعى هذه الدراسة إلى إظهار أدوات التماسك النصي في خطاب الله عز وجل لفئة الكافرين في القرآن الكريم، وتوضح الرسالة دور التوابع والتكرار والضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة في تماسك أجزاء النص، وحاولت الدراسة أن تستنتج قواعد عامة للخطاب الموجه للكافرين في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك من خلال السياق وأسباب النزول.
3. التماسك النصي في شعر علي بن الجهم. دراسة نحوية دلالية. إعداد: سميرة محمد إدريس بن عمور (رسالة دكتوراه) جامعة القاهرة، كلية دار العلوم 2012م. وهذا البحث عبارة عن دراسة للتماسك النصي في ديوان شعري لشاعر قديم، بالإضافة إلى تحليل قصائده، فهي محاولة للإحياء وإعادة الطرح وربط للقديم بالحديث.
4. التماسك النصي في سورة النبأ. إعداد: أمين لقمان الحبار. جامعة الموصل. مجلة التربية والعلم. مجلد (14) العدد (2)2007م. تحاول هذه الدراسة أن تلقي الضوء على سورة النبأ، وذلك بالاستعانة بمفهوم التماسك النصي الذي يقوم بشد النص مع بعضه دلالياً، وقد تبين أن الاتساق أو التماسك في السورة قد تمثل في ثلاثة محاور: التسمية، الثيمات، الثنائيات المتقابلة.

تعريف بالشاعر ومناسبة القصيدة:

عمر أبو ريشة: شاعر سوري ولد في منبج بسوريا، نشأ في بيت يقول الشعر كثير من أفراده، وتلقى تعليمه الابتدائي في مدينة حلب، وأكمل دراسته الثانوية في الكلية السورية البروتستانتية (الجامعة الأمريكية) في بيروت، ثم أرسله والده إلى إنجلترا عام 1930 لأجل دراسة الكيمياء الصناعية في جامعة مانشستر. وقد عين في البرازيل مفوضاً من قبل الحكومة الوطنية السورية، كما عين سفيراً لسوريا في كل من الهند والنمسا وأمريكا في السنوات ما بين 1949_

1970. إن "عمر أبو ريشة" يعد من كبار شعراء وأدباء العصر الحديث، وله مكانة مرموقة بين الشعراء العرب المعاصرين، وهو الشاعر المليء بالإنسانية، الأديب، الديبلوماسي، الذي حمل في عقله وقلبه الحب والعاطفة للوطن والتاريخ والإنسان في كل زمان ومكان، وعبر في أعماله وشعره بأرقى الصور وأبدع الكلمات والمعاني.

في سنة 1948 حصلت كارثة فلسطين، وعمت التظاهرات والاحتجاجات الوطن العربي، وأقيمت حفلة ومهرجان شعري في حلب تعبيراً عن رفض الأمة لما حدث، وكان الشاعر قد أعد هذه القصيدة للمناسبة، واستطاع بإلقائه المؤثر تحريك الجماهير وتحريضها، وهي قصيدة منبرية حماسية أثرت في المجتمع كثيراً آنذاك[3].

علم نحو النص:

إن علم نحو النص الذي ظهر في الستينيات من القرن الماضي قد وضع أسساً ومعايير وضوابط بمثابة علامات للشعراء والكتاب أنفسهم، توجههم لكيفية صناعة نص متماسك متلاحم الأجزاء، كما أن تلك الضوابط نفسها كانت هادياً للنقاد في تحليلهم للنصوص، وتمييزهم بين المترابط منها وغير المترابط، وإن معايير النصية وأدوات الترابط النصي التي تناولها الباحثون بالدرس والتطبيق هي العلامات التي يهتدي بها الباحث في حكمه على تحلي نص ما بالترابط أو عدمه.

إن نحو النص هو طريقة للتحليل ذات وسائل بحثية مركبة، تمتد قدرتها التشخيصية إلى ما وراء الجملة، إضافة إلى فحصها للعلاقات التركيبية للمكونات داخل الجملة. وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدرجي يبدأ من العلاقات بين الجمل، ثم العلاقات بين الفقرات، ثم النص بتمامه[4].

نشأة نحو النص:

لقد بدأ الاتجاه إلى نحو النص مع بدايات النصف الثاني من القرن الماضي، حيث نشر (هاريس) دراستين اكتسبتا أهمية منهجية في تاريخ علم اللغة الحديث تحت عنوان: "تحليل الخطاب" حيث قدم فيهما أول تحليل منهجي للنصوص. حيث اهتم بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص المطولة، وتعرض لمسألتين مهمتين، الأولى: ضرورة تجاوز الجملة في التحليل النحوي، والثانية: ضرورة تسليط الضوء على علاقة اللغة بالسلوك والثقافة[5].

وهناك من يرى أن (فان دايك) مؤسس علم النص، وأنه قد بشر في بحوثه التي كتبها عن علم اللغة النصي في السبعينيات من القرن الماضي بمولد هذا العلم. ويمكن الجمع بين النظرتين على أن (هاريس بدراسته "تحليل الخطاب" 1952 يعد رائداً في مجال علم اللغة النصي، أما (فان دايك) فقد سعى إلى إنشاء تصور متكامل حول نحو النص منذ 1972 حيث ظهر كتابه "بعض مظاهر أنحاء النص" وظل كذلك حتى عام 1977 مع كتابه "النص والسياق"، حيث بدأ ينطلق من تحليل سيكولساني للخطاب والنص رابطاً بين الدلالة والتداولية. وفي سنة 1972 حاول (فان دايك) إقامة (أنحاء النص) متجاوزاً الآراء المطروحة حول نحو النص، مناقشاً مختلف التصورات التي حاولت تحديده ضمن اللسانيات أو ارتأت أنه ليس موضوعاً لها[6].

أسباب الانتقال من الجملة إلى النص:

1- الرغبة في تجاوز المناهج النظرية التي أغرقت في التجريد وأعرضت عن الاهتمام بالاستعمال، وأقصت الدلالة والمعنى والسياق، وهذه مشكلات متى اجتمعت أفضت إلى جعل اللغة مجرد هيكل شكلي منطقي لا يكاد يختلف، من حيث انقطاع الصلة بينه وبين الحياة، عن الهيكل العظمي.

2- إن الوسيلة الأساسية للتواصل بين الناس هي النصوص وليس الجمل، لذلك ينبغي أن ينظر إلى النص على أنه الوحدة الأساسية للتحليل اللساني.

3- إن هناك ظواهر لغوية مستعصية على نماذج الجملة، وقد عد إيزنبرغ من هذه الظواهر ما ينيف على ثلاث وعشرين ظاهرة، منها: التعريف بالإضمار وبالإشارة وبالأداة، والترتيب والحذف، والزمن والوصل والتنغيم، وغيرها ... فهذه الظواهر براهين تدل على أن العلاقات اللسانية لا تنحصر داخل الكلمة أو الجملة، بل تستطيع أن تخترق حدود البنية النحوية_ المعجمية، لتربط بين عنصرين أو أكثر ضمن بنية النص. وهو ما يدعو إلى صياغة نماذج أكفأ تفلح في التعبير عن المبادئ الأساسية التي تفسر انتظام الوحدات اللغوية المختلفة وطبائعها المتباينة تفسيراً يتوقع وجود مثل هذه الظواهر، ويمكن من مقاربتها بطريقة طبيعية[7].

4- إن لسانيات النص برزت بديلاً عن النظريات النقدية، إذ لم تقدم تلك النظريات على اختلافها مقاربة نصية رصينة، ولم تستطع أن تستجيب لهذا المطلب بالوسائل المتاحة، فهي وسائل منصب أغلبها على قضايا الجملة، لكن هذا المطلب كان دافعاً لإعادة النظر في النظريات اللسانية من أجل توسيعها بما يتناسب وقضايا النص[8].

أهداف نحو النص:

إن علم اللغة النصي يهدف إلى الكشف عن كيفية بناء النص وطرائق تماسكه من خلال تركيزه على:

1- وصف النص: ويراد به توضيح مكونات النص وذلك من خلال تعيين الجملة الأولى فيه، ثم توضيح الموضوعات المتناولة، وبيان الروابط اللغوية والدلالية الموجودة وما يؤدي إليه من اتساق وانسجام بين جمل النص حتى تغدو كأنها بناء واحد.

2- تحليل النص: ويتم فيه بيان الروابط الخارجية، والاهتمام بالسياق الذي يؤدي دوراً مهماً في جمع أشتات النص التي تظهر متفتتة فتصبح متجاذبة.

3- مراعاة دور النص في التواصل، وذلك من خلال التعرف على أحوال منتج النص ومتلقيه.

4- تحديد نمط النص وغرضه.

5- الوقوف عند بنية النص المتمثلة في: المستوى الصوتي والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي، هذا بالإضافة إلى المستوى الاستراتيجي الذي هو عبارة عن اختيار استراتيجية معينة يسير عليها النص[9].

معايير النصية (نحوية النص):

إن مصطلح "نحو" هنا ذو دلالة خاصة، حيث إنه ليس مجموعة من القواعد أو القيود التي يتم تطبيقها على النص، وإنما يتضمن مفهومُ القاعدةِ مجموعةً من القوانين الاختيارية التي استُخلِصَت من النص ذاته،حيث لا تمتلك سلطة خارجية إجبارية ينبغي أن يخضع لها النص مهما كان نوعه، ومن الطبيعي أن يعثر على تلك الحرية في قواعد الدلالة التي تتصف بالمرونة والتغير[10].

لقد استنبط كل من "دي بوجراند" و"دريسلر" سبعة معايير يجب أن تتوفر في كل نص، وإذا كان أحد هذه المعايير غير متوفر فإن النص يعد غير اتصالي، والعناية بهذه المعايير السبعة في تحديد نصية النصوص تلغي فكرة التقابل

الضدي بين مفهومي الجملة والنص، إذ لم يعد التمييز بينهما منحصراً في كم النص وحجمه أو بنيته النحوية، وإنما في توفر هذه المعايير السبعة[11].

وهذه المعايير هي[12]:

1.التماسك:

الاتساق، السبك، الربط الرصفي، Cohesion ... وكلها مصطلحات تؤدي مفهوماً واحداً يختص بأشكال العلاقات المتبادلة بين مكونات النص السطحي، كالضمائر والإشارات المحيلة إحالة قبلية أو بعدية، وأدوات العطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة، والاستدراك وأزمنة الأفعال ...، ويقصد به الترابط الشديد بين أجزاء النص حيث تقوم به مجموعة من العناصر اللغوية، وهي المفردات الحقيقية التي نسمعها أو نقرؤها، داخل السلسلة اللغوية للنص ويعتمد هذا التماسك على علاقات نحوية.

2.الانسجام:

الالتحام، الحبك، الربط الدلالي، Coherence ... وهي كذلك مصطلحات تختص بكيفية تآلف مكونات عالم النص فيما بينها، أي كيفية تشكيل المفاهيم، والعلاقات الموجودة في النص السطحي، وقبول هذه المكونات بالترابط بين بعضها بعضاً. وتعتمد على علاقات داخلية وعناصر مقامية مترابطة يتم من خلالها فهم النص. وهو من أشد المعايير اتصالاً بالنص وتحقيقاً لاستمرارية الدلالة، فهو معني بالمضمون والربط الموضوعي بين أجزاء النص.

والمعياران السابقان متصلان بالنص في ذاته، إلا أن الانسجام أعم وأشمل من الاتساق كما أنه أكثر منه عمقاً، حيث يطلب بناء الانسجام من المتلقي توجيه الاهتمام إلى العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده. وقد منح علماء النص عناية كبيرة للانسجام، حيث يذكرون أنه خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بمفهوم الجمل الأخرى ومضمونها. ويختص الانسجام بالاستمرارية المتحققة في عالم النص، ويقصد بالاستمرارية الدلالية ما يتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بينها. وتحتاج هذه العلاقات من القارئ جهداً في التفسير والتأويل واستخدام ما لديه من معلومات عن العالم، فالانسجام يتوقف على فهم النص، معتمداً على تجارب المتلقي السابقة ومعارفه[13].

1.القصدية: Intentionality

وهذا المعيار مرتبط بمستخدم النص لا بمادته، وهو الذي يجعل لعملية التوصيل النصي فاعلية، وتشير كلمة "مستخدم" إلى كل من منتج النص ومتلقيه. إن مدلول القصد جزء من دلالة النص، وأي نص يخلو من القصد فإنه لا يرقى إلى مرتبة إطلاق صفة "خطاب" عليه.

2.المقبولية: **Acceptability**

ويرتبط بسلوك مستقبل النص أو متلقيه، بحيث ينبغي أن تكون مجموعة الأحداث التي تكوّن نصاً متماسكاً متآلفاً، مقبولة عند المتلقي يستقبل منها معرفة أو معلومة من نوع ما.

3.الإعلامية: Informativity

الإخبارية، ... ويشار به إلى ما يحمله النص من معلومات تهم المتلقي، والواقع أن كل نص يحمل مجموعة من المعلومات، غير أن مقدار الإعلامية هو الذي يحدد مدى اهتمام السامع، وقد تقود الإعلامية إلى رفض النص إذا كان يحمل حداً منخفضاً من المعلومات.

4.الموقفية: Situationality

المقامية، ... وتتصل بالسياقين المادي والثقافي المحيطين بالنص، ويشتمل السياق على العوامل التي تؤدي إلى ارتباط نص ما بموقف حالي. فالسياق يمكن استرجاعه، حيث إن معنى النص واستخدامه يتحدد أساساً من خلال السياق، وهو بالطبع يتعلق بمناسبة النص للموقف، فلكل مقام مقاله الخاص به، فلا يقال في مقام فرح كلام حزن أو العكس.

5.التناص: Intertextuality

والمقصود به التفاعل بين النصوص أو العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى سابقة مرتبطة به، والعوامل التي تجعل استخدام النص معتمداً فنياً وفكرياً على ما يقدمه نص أو نصوص سابقة من معرفة.

لقد استخلص "دوبوجراند" أن النص هو تجلٍّ إنساني ينوي فيه المنتج أن ينشئ نصاً، يوجه المتلقي إلى بناء علاقات من أنواع مختلفة، مما يجعله _أي النص_ قادراً على التعبير عن المواقف، وتوجيهها، وتغييرها. وإذا كان النص نتاج توالٍ من المعارف والانفعالات والجوانب الاجتماعية، فهو قادر على أن يغير هذه الأبعاد عند المتلقي. كما استخلص علماء لسانيات النص أن الأعراف الاجتماعية تنطبق على النص أكثر من انطباقها على الجملة، وأن العوامل النفسية أوثق ارتباطاً بالنصوص، وأن مفهوم القدرة في إنتاج النصوص سيكون ذا طابع ذهني إذا ما ارتبط بمفهوم النص، فإن معايير النصية جاءت لتتوافق مع ذلك التمييز بين الجملة والنص[14].

أدوات الترابط النصي:

في سبيل تحقيق الترابط النصي لابد من توفر مجموعة من الأدوات تعمل على تحقيق الاتساق على مستوى النص. ويرى هاليداي ورقية حسن أن نحو النص ما هو سوى دراسة هذه الاعتبارات اللغوية الرابطة بين جمل لغوية في متتالية خطية[15]، وهذه الأدوات هي:

الإحالة، الاستبدال، الحذف، الربط، الاتساق المعجمي. وفيما يأتي تفصيل كل منها مع تطبيقها على قصيدة (أمتي) للشاعر عمر أبو ريشة.

نص القصيدة:

أمتي هل لك بين الأمم منبر للسيف أو للقلمِ
أتلقاك وطرفي مطرق خجلاً من أمسك المنصرم
ويكاد الدمع يهمي عابثاً ببقايا كبرياء الألم
أين دنياك التي أوحت إلى وتري كل يتيم النغم
كم تخطيت على أصدائه ملعب العز ومغنى الشمم
وتهاديت كأني ساحب مئزري فوق جباه الأنجم
أمتي كم غصةٍ داميةٍ خنقت نجوى علاك في فمي!!

أي جرح في إبائي راعف فاته الآسي فلم يلتئم
ألإسرائيل تعلو راية في حمى المهد وظل الحرم؟؟
كيف أغضيت على الذل ولم تنفضي عنك غبار التهم؟؟
أو ما كنتِ إذا البغي اعتدى موجة من لهب أو من دم؟
فيم أقدمتِ؟ وأحجمتِ؟ ولم يشتف الثأر ولم تنتقمي!
اسمعي نوح الحزانى واطربي وانظري دمع اليتامى وابسمي
ودعي القادة في أهوائها تتفانى في خسيس المغنم
رب "وامعتصماه" انطلقت ملء أفواه البنات اليتم
لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم
أمتي كم صنمٍ مجدته لم يكن يحمل طهر الصنم!!
لا يلام الذئب في عدوانه إن يكُ الراعي عدو الغنم
فاحبسي الشكوى فلولاك لما كان في الحكم عبيد الدرهم
أيها الجندي يا كبش الفدا يا شعاع الأمل المبتسم
ما عرفت البخل بالروح إذا طلبتها غصص المجد الظمي
بورك الجرح الذي تحمله شرفاً تحت ظلال العلم

أولاً: الإحالة: Reference

إن مصطلح الإحالة في البحث اللساني يشير إلى مفهومين مختلفين: أولهما تقليدي، وهو ما كانت اللسانيات التقليدية لا تعده من صميم الدراسة اللسانية العلمية الحقيقية، حيث كانت ترى المرجعية أمراً ينبغي استبعاده من الدراسة اللسانية على الرغم من أهميته في فهم الخطاب البشري عموماً. وثانيهما حديث، وهو إحالة العناصر اللغوية بعضها إلى بعض داخل نص من النصوص لتشكل عالماً نصياً مترابطاً يشمل سياقات عناصر النص وأحداثها ووظائفها التداولية، باعتبارها بديلاً لما هو موجود في الخارج[16].

وتطلق تسمية العناصر الإحالية على مجموعة من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، قبلاً أو بعداً. فشرط وجودها هو النص. وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق أن ورد في مقام ما، وبين ما ذكر بعد ذلك في مقام آخر. وتعتمد الإحالة على أدوات مثل: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة ... وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسن:

_ إحالة داخل النص (نصية داخلية) Textual

_ إحالة خارج النص (مقامية خارجية) Situational

والإحالة الداخلية تنقسم إلى:

_ إحالة إلى سابق، وتسمى قبلية

_ إحالة إلى لاحق، وتسمى بعدية.

الإحالة بالضمير:

يبدأ الشاعر قصيدته بالنداء (أمتي) ... وهي المرجع الذي ستحيل إليه الكثير من الضمائر في هذه القصيدة، وهو ما سيجعلها متماسكة من أولها إلى آخرها، وفي ما يأتي تفصيل ذلك:

المرجع	العنصر الإحالي	نوع الإحالة
الشاعر	الياء في (أمتي)	مقامية خارجية
	الياء في (طرفي)	مقامية خارجية
	الياء في (وتري)	مقامية خارجية
	التاء في (تخطيتُ)	مقامية خارجية
	التاء في (تهاديتُ)	مقامية خارجية
	الياء في (مئزري)	مقامية خارجية
	الياء في (فمي)	مقامية خارجية
	الياء في (إبائي)	مقامية خارجية
	الياء في (أمتي)	مقامية خارجية
أمتي	الكاف في (لكِ)	نصية قبلية
	الكاف في (أتلقاكِ)	نصية قبلية
	الكاف في (أمسكِ)	نصية قبلية
	الكاف في (دنياكِ)	نصية قبلية
	أوحت (هي)	نصية قبلية
	الكاف في (علاك)	نصية قبلية
	التاء في (أغضيتِ)	نصية قبلية
	الياء في (تنفضي)	نصية قبلية
	التاء في (كنتِ)	نصية قبلية
	التاء في (أقدمتِ)	نصية قبلية
	التاء في (أحجمتِ)	نصية قبلية
	الياء في (تنتقمي)	نصية قبلية
	الياء في (اسمعي)	نصية قبلية
	الياء في (اطربي)	نصية قبلية
	الياء في (انظري)	نصية قبلية

	الياء في (ابسمي)	نصية قبلية
	الياء في (دعي)	نصية قبلية
	التاء في (مجدته)	نصية قبلية
	الياء في (فاحبسي)	نصية قبلية
	الكاف في (فلولاكِ)	نصية قبلية
يتيم النغم	الهاء في (أصدائه)	نصية قبلية
جرح	الهاء في (فاته)	نصية قبلية
القادة	الهاء في (أهوائها)	نصية قبلية
القادة	الهاء في (أسماعهم)	نصية قبلية
كلمة وامعتصماه	الهاء في (لكنها)	نصية قبلية
صنم	الهاء في (مجدته)	نصية قبلية
الروح	الهاء في (طلبتها)	نصية قبلية
الجرح	الهاء في (تحمله)	نصية قبلية

الإحالة بالاسم الموصول:

يستعمل الشاعر الإحالة بالاسم الموصول في موضعين من القصيدة، الأول في البيت الرابع: (أين دنياك التي أوحت إلى..) فالاسم الموصول (التي) إحالة بعدية على (الدنيا)، تفيد وصف الدنيا بأنها ملهمة لشعرية الشاعر. والموضع الثاني في البيت الأخير: (بورك الجرح الذي تحمله)، (الذي اسم موصول قام بدور الإحالة البعدية، والموضعان السابقان كلاهما إحالة نصية داخلية.

ثانياً: الاستبدال: Substitution

هو صورة من صور التماسك النصي التي تحدث في المستويين النحوي المعجمي بين كلمات أو عبارات أو جمل. وهي عملية تتم داخل إطار النص، حيث إنها تعوض عنصراً بآخر. ومعظم حالات الاستبدال النصي تصنف بأنها "قبلية"، أي: هي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم، ولذا يعد الاستبدال مصدراً أساسياً من مصادر تماسك النص[17]. إن فكرة الاستبدال تعتمد على أن المعلومات التي تمكن المتلقي من تأويل العنصر الاستبدالي موجودة في مكان آخر في النص نفس[18].

وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع:

1- استبدال اسمي
2- استبدال فعلي
3- استبدال قولي

ــ ورد في النص قوله: (فاحبسي الشكوى فلولاك لما كان في الحكم عبيد الدرهم)

ضمير المخاطب (الكاف) في (لولاك) استبدل به تركيباً ، حيث المعنى: لولا سكوتك عن الظلم..

ـــ وقوله (رب وامعتصماه..)، استبدل المقول بالقول، حيث المعنى: رب نداء، أو رب استغاثة..

ثالثاً: الحذف: Ellipsis

الحذف من خصائص العربية التي تكسبها بلاغة، وتكسب اللغة الاختصار والاقتصاد، وتؤدي إلى الإيجاز وسرعة الإتاحة، في الوقت الذي تحذف فيه من البنية السطحية[19]. ويعد الحذف أحد أدوات الترابط النصي الذي يتم في المستوى النحوي المعجمي، وليس الحذف على مستوى الجملة الواحدة على درجة من الأهمية من حيث الاتساق النصي، وإنما يجب البحث عنه بين الجمل، وليس داخل الجملة الواحدة[20]. وهذا هو المقصود بالحذف النصي الذي تركز عليه أدوات الترابط النصي، حيث يعتمد على الربط بين النص والمقام، وهذا الدور يأتي من فهم السياق وتأويل المتلقي، وقد أشار صبحي إبراهيم الفقي إلى ذلك بقوله: "من أنماط الحذف المهمة في التحليل النصي حذف بعض الأحداث دون البعض في التسلسل الزمني للقصة"[21].

أنواع الحذف:

1- الحذف الاسمي

2- الحذف الفعلي

3- الحذف الجملي أو القولي.

وفي هذه القصيدة استعمل الشاعر تقنية الحذف لتحقيق التماسك النصي في مواضع متعددة:

- قوله: (منبر للسيف أو للقلم) في البيت الثاني، حذف (منبر) من العبارة الثانية، لدلالة السابق عليه، فتقدير الكلام: أو منبر للقلم، وهو حذف اسمي.
- حين انتقل من البيت السادس إلى البيت السابع انتقل من فكرة الزهو بالماضي المجيد إلى فكرة الحزن على الحاضر الأليم، وهذا اختزال واختصار لمجموعة أفكار تتمحور حول كيف انحدرت الأمة إلى هذا المستوى، وهو حذف جمل.
- في البيت الثالث عشر حذف لجملتين ... (واطربي) (وابسمي) ، يفهم منه: اطربي إن استطعت ولن تستطيعي ... وكذلك (ابسمي).
- في البيت الخامس عشر (رب "وامعتصماه" انطلقت ...) حذف من نهايته (فاستجاب لها المعتصم).
- وفي البيت السادس عشر (لامست أسماعهم حذف منها(فلم يستجيبوا لها) وهو حذف جمل.
- وفي قوله: (لامست أسماعهم) الفاعل محذوف مفهوم من البيت السابق، أي: لامست الصرخة أسماعهم ... وهو حذف اسمي، ربط بين جملتين.

رابعاً: الربط: Conjunction

هو أحد الأدوات التي يتماسك بها النص، حيث يختار من الأدوات ما يتصل فيه اللاحق بالسابق اتصالاً منتظماً[22]. وهو مختلف عن كل أنواع علاقات الاتساق، حيث إنه لا يتضمن إشارة موجهة نحو البحث عن المفروض في السابق أو اللاحق، كما هو الحال مع الإحالة والاستبدال والحذف، وإنما هو تحديد للطريقة التي يترابط بها السابق مع اللاحق[23].

ويصنف الربط إلى: إضافي، عكسي، سببي، ظرفي، شرطي، تشبيهي ...

ورد من **الربط الإضافي** في القصيدة المواضع الآتية:

للسيف أو للقلم (أو)، وطرفي مطرق (الواو الحالية)، ملعب العز ومغنى الشمم (الواو العاطفة)، وتهاديت (الواو الاستئنافية)، فلم يلتئم (الفاء الاستئنافية)، وظل الحرم (الواو العاطفة)، ولم تنفضي (الواو الحالية)، أو من دم (أو)، وأحجمت (الواو العاطفة)، ولم يشتفِ (الواو الحالية)، ولم تنتقمي (الواو الحالية)، واطربي، وابسمي، وانظري، (الواو العاطفة).

أما **الربط السببي** فقد ورد منه قوله: (خجلاً من أمسك)، وكأنه جواب على سؤال (لماذا هو مطرق؟) فالجواب: خجلاً ... وهي علاقة سببية. وقوله: (ألإسرائيل تعلو ...) هي كذلك علاقة سببية تفسير لحالة الحزن السابقة. وقوله: (فلولاك لما ...) إشارة إلى علاقة السببية بين الأمرين، مما يسهم في ترابط الفكرة في الأبيات التي تركز على دور الأمة.

وأما **الربط الظرفي** فقد ورد في بضعة مواضع في القصيدة، مثل قوله: (فوق جباه الأنجم) حيث عبر بالظرف المكاني عن التماسك بين أجزاء النص، وقوله: (إذا البغي اعتدى) وهو رابط زماني، وكذلك قوله: (إذا طلبتها)، وأخيراً قوله: (تحت ظلال العلم) رابط مكاني.

أما **الربط التشبيهي** فقد ورد في موضعين، الأول قوله: (أمتي كم صنمٍ مجدته) شبه الحاكم بالصنم وهو ما يربط هذه الجملة بما سبقها من الحديث عن القادة. وأما الثاني فقوله:

لا يلام الذئب في عدوانه   إن يك الراعي عدو الغنم

وهي صورة مجازية متعددة الأطراف، يشبه فيها العدو بالذئب، والشعب بالغنم، والحاكم بالراعي ... يشير فيها إلى صفة الخيانة التي وجدت في بعض الحكام، مما يربط هذا البيت بالأبيات السابقة التي تشير إلى سوء صفات الحكام.

وأما **الربط العكسي** فقد ورد كذلك في موضعين، الأول قوله: (فيم أقدمتِ؟ وأحجمتِ؟ ...) حيث تضاد الجملتين يشكل حالة من التماسك تشير إلى تناقض المواقف في حالة الأمة واستنكار ذلك من قبل الشاعر.

والثاني قوله:

لامست أسماعهم لكنها   لم تلامس نخوة المعتصم

التضاد بين النفي والإيجاب. الأولى تشير إلى القادة المتخاذلين، والثانية تشير إلى المعتصم القائد الحر الذي لم يتخل عن نصرة شعبه. فالتضاد بين الحالتين أشار إلى تماسك الفكرة التي تهدف إلى المقارنة بين الماضي والحاضر، وقد ساعد على ترسيخ الفكرة الاستدراك بـ (لكن).

خامساً: الاتساق المعجمي:

وهو التماسك الذي تحدثه العناصر اللغوية (كلمة، عبارة، جملة في النص بوصفها عناصر معجمية)[24]. وينقسم إلى قسمين:

- الاتساق المعجمي التكراري: وهو إعادة عنصر معجمي أو مرادفه أو شبيهه أو عنصر عام يشمله.

- الاتساق المعجمي التضامي: ويعرف بأنه توارد كلمتين أو أكثر، نظراً لارتباطهما بعلاقة دلالية من نوع ما[25]، وهو ما يعرف بالحقول الدلالية.

فمن النوع الأول (التكراري) ورد لديه تكرار للتراكيب في كل:

- (ملعب العز ومغنى الشمم) في البيت الخامس.
- (حمى المهد وظل الحرم) في البيت التاسع.
- (ولم يشتفِ الثأر ولم تنتقمي) في البيت الثاني عشر.

كما ورد لديه تكرار فعل مع تغيير طفيف في اللفظ، في قوله: (لامست ... لم تلامس) في البيت السادس عشر. وقد ورد لديه تكرار اسمي في قوله: (كم صنمٍ ... طهر الصنم) في البيت السابع عشر. وأخيرا وجدنا لديه تكراراً في الأسلوب وهو أسلوب إنشائي ندائي في قوله: (أيها الجندي ... يا كبش الفدا ... يا شعاع الأمل) في البيت العشرين، يوحي بتعلق أمل الشاعر بهذا المنادى وتركيزه عليه لأنه مناط الاهتمام.

ومن النوع الثاني (التضامي) ورد قوله:

- (السيف_ القلم) البيت الأول.
- (لهب_ دم) البيت الحادي عشر.
- (اسمعي_ انظري) نوح الحزانى_ دمع اليتامى (اطربي_ ابسمي) البيت الثالث عشر.
- (الذئب_ الغنم_ الراعي) البيت الثامن عشر.

ما سبق تبين لنا أن قصيدة (أمتي) للشاعر "عمر أبو ريشة" هي نص متماسك متلاحم الأجزاء، ترابطت فيه العناصر على المستويات النحوية والمعجمية والدلالية لتخدم فكرته وتؤدي المعنى المرجو منه، وهو استنهاض الأمة واستثارة عزيمتها لتقوم بالدور المنوط بها في دفع المحتل والظفر بالحرية.

الخلاصة:

1- تكمن أهمية الدراسات النصية الحديثة في الخروج من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص، ومن دلالة الجملة إلى دلالة النص.

2- ظهر نحو النص في الستينيات من القرن الماضي، بداية مع (هاريس) الذي يعد رائد هذا العلم، واكتمل وتطور على يد (فان دايك) ما بين عامي 1972_1977م.

3- من أهم أسباب الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص الرغبة في الابتعاد عن التجريد والاهتمام بالاستعمال، وتفسير ظواهر لغوية لم يعطها نحو الجملة حقها من البحث.

4- يهدف نحو النص إلى الكشف عن كيفية بناء النص وطرائق تماسكه من خلال وصفه وتحليله ومراعاة دوره في التواصل، وتحديد نمطه وغرضه وبنياته المتعددة.

5- معايير النصية حسب (دي بوجراند) و(دريسلر):التماسك، الانسجام، القصدية، المقبولية، الإعلامية، الموقفية، التناص.

6- أدوات الترابط النصي: الإحالة، الاستبدال، الحذف، الربط، الاتساق المعجمي.
7- استعمل الشاعر الإحالة بكثرة في هذه القصيدة، لاسيما الإحالة بالضمير، حيث بلغت سبعة وثلاثين موضعاً، أما الإحالة بالاسم الموصول فقد وردت في موضعين من القصيدة. وجدير بالذكر أن الشاعر لم يستعمل الإحالة الإشارية.
8- استعمل الشاعر أداة الاستبدال في موضعين من القصيدة.
9- استعمل الشاعر تقنية الحذف لتحقق التماسك النصي في القصيدة، وذلك في ستة مواضع أظهر فيها براعته في اختصار ما يجب اختصاره، وفي اللجوء إلى باب شجاعة العربية. وقد تنوعت المحذوفات ما بين اسمي وفعلي وجملي.
10- زخرت القصيدة بأدوات الربط المستعملة في النص لتحقق التماسك والانسجام وتربط بين أجزائه، وكانت على أنواع، حيث استعمل الشاعر كلاً من: الربط السببي والظرفي والتشبيهي والعكسي.
11- كما وجدت في القصيدة نماذج متعددة للاتساق المعجمي بنوعيه (التكراري) و(التضامي)، على نحو أظهر تماسك النص واتساق أجزائه.
12- وأخيراً ... ظهر للباحثة أن قصيدة (أمتي) للشاعر "عمر أبو ريشة" هي نص متماسك متلاحم الأجزاء، ترابطت فيه العناصر على المستويات النحوية والمعجمية والدلالية لتخدم فكرته وتؤدي المعنى المرجو منه.

الهوامش والمصادر:

[1] نحو النص. اتجاه جديد في الدرس النحوي. د.أحمد عفيفي 133 ، مكتبة زهراء الشرق. القاهرة، ط1 2001م

[2] دلالة الموت في الشعر العربي المعاصر. محمد شادو. المقدمة.ج

[3] الأعمال الشعرية الكاملة. عمر أبو ريشة 47 ، دار العودة، بيروت. ط2009م

[4] علم اللغة النصي. د.مصطفى صلاح قطب 52 ، عالم الكتب، القاهرة ط1 ، 2014م

[5] ينظر: اللسانيات النصية. د.خالد حميد صبري 27_28 ، طبع في لبنان. ط1 2015م دار ومكتبة عدنان. بغداد، دار الأمان. الرباط، منشورات الاختلاف. الجزائر، منشورات ضفاف. بيروت.

[6] ينظر: علم اللغة النصي. د.مصطفى صلاح قطب 52_53

[7] اللسانيات النصية د. خالد حميد صبري 38

[8] ينظر: أصول تحليل الخطاب. محمد الشاوش 80/1، كلية الآداب جامعة منوبة. تونس ، المؤسسة العربية للتوزيع. بيروت ط1، 2001م

[9] علم اللغة النصي. د.محمود جلال الدين سليمان 22

[10] علم لغة النص. المفاهيم والاتجاهات. د.سعيد حسن بحيري 218_219 ،الشركة المصرية العالمية للنشر. لونجمان. ط1 1997م

[11] علم اللغة النصي. د.محمود جلال الدين سليمان 24_25 ،عالم الكتب، القاهرة، ط1 2017م

[12] ينظر: علم اللغة النصي د.مصطفى صلاح قطب 64_65 ، وعلم اللغة النصي د.محمود جلال الدين سليمان 26_30

[13] علم اللغة النصي د.محمود جلال الدين سليمان 35

[14] علم اللغة النصي د.محمود جلال الدين سليمان 25_26

[15] ينظر: نحو النص. عمر أبو خرمة 81 ، عالم الكتب الحديث. الأردن. ط1 2004م

[16] الإحالة في ديوان الجزائر . أ.مصطفى زماش 19_20، مركز الكتاب الأكاديمي. عمان. الأردن ط1، 2016م

[17] ينظر: علم اللغة النصي د. محمود جلال الدين سليمان 33_34، عالم الكتب، القاهرة، ط1 2017م وعلم اللغة النصي. د.مصطفى صلاح قطب 184

[18] ينظر: لسانيات النص. محمد خطابي 20

[19] الاتساق في تماسك النص. د.محمود الهواوشة 124. دار الرنيم للنشر والتوزيع. عمان_الأردن ط1. 2017م

[20] لسانيات النص. محمد خطابي 21_22

[21] علم اللغة النصي. د.صبحي إبراهيم الفقي 195/2

[22] علم اللغة النصي. د.مصطفى صلاح قطب 188، عالم الكتب، القاهرة ط1 ، 2014م ولسانيات النص. محمد خطابي 23 ، الدار البيضاء. المركز الثقافي العربي ط1. 1991م

[23] الاتساق في تماسك النص. د.محمود الهواوشة 115، وفي لسانيات النص. أيمن محمود موسى 60_61

[24] علم اللغة النصي. د.مصطفى صلاح قطب 191

[25] ينظر: نحو النص. د.عمر أبو خرمة 83